

اليوم عيد ميلادي

اليومُ عيدُ ميلادي
لا أحد يدري به
لا أحد يعرفُ تاريخَ ميلادي
كمُ من السنين مضي
وكمُ هو الباقي
كم كان منها فرحٌ
وكم كان منها هو الباقي

لم استلم بطاقةً تُهنئني
ولا باقةً وردٍ
ولا مكالمَةً تُطمئنني
تُذكرني
بعيد ميلادي

أين أولادي
أمي وأحبابي
وصوتُ أبي الشادي
يُناجي عيونَ الليلِ
ويحكى حكاياتِ حبٍ وأمجادٍ
أين أجدادي

أين شموعُ الفرحة
أغاني الحبِ والمرح
ولمَ يغمرُ الحزنُ قُؤادي
واليوم عيدُ ميلادي

نسيت أُمي تاريخ ميلادي
ونسِي أبي وجدتي
رغم لهفتي وعنادي
ضاعت الذاكراتُ
يومَ بكى القلبُ دماً
هُزِمَ الحقُّ
وهَرَبنا من البيتِ حُفَاةً
في ليلةٍ ممطرةٍ
مرعبةٍ
حالكةِ السوادِ
وسَقَطتْ في يدِ الغزاةِ بلادي

تركنا خَلفنا كلَّ شيءٍ
كتبي
أسوارِ أمي
قلادةِ جدتي
وتراثِ أجدادي
تركناها في مَأمنِ الدارِ
عشِ أحلامي
ومكانِ ميلادي

اعتدى الغزاةُ على حُرمةِ البيتِ
سرقوا كُتُبي
ثيابي
حِذائي
كُلَّ أشيائي

اغتصبوا دارنا
صادروا طفولتي
بساتينَ البرتقال
وزهرةَ الوادي

خطفوا ذاكرةَ أمي
بسمة أبي
حبيبة خالي
وتاريخَ ميلادي

شرّدونا لاجئينَ
بلا وطن
بلا بيتٍ
بلا عنوان
بلا ثيابٍ
سوى ثوبِ حِدادٍ

نسيرُ هائمينَ
من وادٍ إلى وادي
نَحْمَلُ في العين حُزناً
في القلب خوفاً
وعلى الشفاهِ
ذكرياتِ فرحٍ وأعيادٍ

وحينَ أسْتَقَرَّ بنا الحالُ
في خيمةٍ عارية
في صحراءِ قاحلة

بلا أشجار تُزينها
بلا عصافير تُطربها
بلا شادي
سألتُ السنينَ عن بقايا العمر
وتاريخ ميلادي

ضحكتُ وقالت
لقد شِخْتُ يا بُنيَّ
وشاختُ ذاكرتي
وهل يحتفلُ من شاخَ مثلي بأعيادِ

سألتُ المُنجمَ عن بُرجي
حظي
وتاريخ ميلادي
بكي بحرقَةٍ، قالَ
عجرتُ يا ولدي
سرقَ البرابرةُ نورَ عَيْني
لم أعد أرى النجمَ
أقرأ الكفَ أو الحرفَ
وهل يحتفلُ أعمى بأعيادِ

تناسيتُ كلَّ أعيادي
انشغلتُ بدراستي
قضايا وطني وأمتي
هموم يومي
وأولادي

بدأنا نُحيي ذكرياتٍ غريبة
نُقيم أعياداً بلا أعيادٍ
عيدَ الشجرةِ
عيدَ الأمِ
يومَ الأرضِ
وذكرى اغتصابِ بلادي

احتفل أولادي بكلِّ عيدٍ
سوى عيدِ ميلادي
سألوني في كلِّ عيدٍ
عن تاريخِ ميلادي
عذبوني ألفَ عذابٍ
وزادوا ظلمَ أولائكِ الأوغادِ

حكيت لهم ألفَ مرةٍ
كيف هربنا من البيتِ
وضاعتُ ذاكرةُ أمي
كيف اغتيلَ الوطنُ
واغتصبتُ بلادي
وكيف يكونُ الظلمُ مقصلاً
والليلُ مأتماً صامتاً
على يدِ الأعادي

حكيتُ لهم حكايتي
مخيماتِ طفولتي
مرارةَ عُربتي
واغترابي

عَلَّهم يتذكروا يوماً
ويحكوا لأحفادي

اليوم عيدُ ميلادي
في الأمس رأيتُ السجَل
قرأتُ اسمي
عرفتُ عُمري
وتاريخَ ميلادي

في الخريفِ وُلِدْتُ
منهُ أخذتُ طيفَ أشعاري
ومن أوراقِه نسجتُ حُلماً
عاش عمراً حزيناً
كأطيافِ الرمادي

ومن الربيعِ أخذتُ اسمي
شمسَ أفكارِي
زوارقَ سفري وإبحاري
عشقي للعطرِ والحبِ
وشحرةِ الوادي

وبينهما عشتُ غريباً
مُغترباً
بلا وطن
بلا هويةٍ
بلا أعيادٍ

يأتي الفرحُ فيُسعِدني
ويأتي الحُزنُ فيؤلمني
أشتاقُ لطفولتي
والشوقُ يُعذبني
أنتظرُ غدي
يطولُ الانتظارُ
والسهدُ يُورقني
ويبقى الوعدُ يشاغلني
بلا ميعادٍ

اليومَ خريفٌ ساحرٌ الألوان
وأنا أجلسُ
في غرفتي
خلفَ مكتبي
وحيداً بلا رُؤادٍ

أقرأ وأفكرُ
أكتبُ كُتُباً ومقالاتِ
أشعاراً بلا تعدادِ

أخذني الوقتُ
نسيْتُ الزمنَ
لا أدري أن كان اليومُ ذكرىَ التقسيمِ
ذكرىَ الهزيمةِ
عيدَ الأمِ
أم عيدَ ميلادي

لم تعدّ الأعيادُ تشغلني
ولا التواريخُ تُقلقني
ولا الأنوارُ تأسرنني
وقد غدتُ هزائمُ أمّتي
كلّ أعيادي

مشاعري وأفكاري
هي اليوم هويتي
كُنبي وأشعاري
هي أشيائي وأحيتي
زوارقُ عِشقي
أشْرعةُ أَملي
وكلُّ عتاديّ

كلما قرأتُ كُنبي
ورُتلتُ بعضُ أشعاري
تذكرَ العالمُ قصّتي
عاشِ مِحتتي
حقّقْ أمنيّتي
وحلمَ أولادي
ابْتسمَ حزيناً
مع المشردين في الأرض
والمغتربين في الوطن
واحتفل بعيدي ميلادي

د. محمد ربيع www.yazour.com